

أضواء البيان

@ 487 المذكورين في قوله : { وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ مِتُّ } ، وقوله : { وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا } قاله القرطبي . وإِ تعالَى أعلم . قوله تعالى : { قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَا يَمِمْدُ لَهُ الرِّحْمَانُ مَدًّا } حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّعَاءَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا } . في معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء ، وكلاهما يشهد له قرآن : .

الأول أن إِ جل وعلا أمر نبيه صلى إِ عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يقول هذه الكلمات كدعاء المباهلة بينه وبين المشركين . وإيضاح معناه : قل يا نبي إِ صلى إِ عليه وسلم لهؤلاء المشركين الذين ادعوا أنهم خير منكم ، وأن الدليل على ذلك أنهم خير منكم مقاماً وأحسن منكم ندياً من كان منا ومنكم في الضلالة أي الكفر والضلال عن طريق الحق فليمدد له الرحمن مداً ، أي فأمهله الرحمن إمهالاً فيما هو فيه حتى يستدرجه بالإمهال ويموت على ذلك ولا يرجع عنه ، بل يستمر على ذلك حتى يرى ما يوعده إِ ، وهو : إما عذاب في الدنيا بأيدي المسلمين ، كقوله { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ } أو بغير ذلك . وإما عذاب الآخرة إن ماتوا وهم على ذلك الكفر . وعلى ذلك التفسير فصيغة الطلب المدلول عليها باللام في قوله { فَلَا يَمِمْدُ } على بابها . وعليه فهي لام الدعاء بالإمهال في الضلال على الضال من الفريقين ، حتى يرى ما يوعده من الشر وهو على أقبح حال من الكفر والضلال . واقتصر على هذا التفسير ابن كثير وابن جرير ، وهو الظاهر من صيغة الطلب في قوله { فَلَا يَمِمْدُ } ونظير هذا المعنى في القرآن قوله تعالى : { فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لِّلْعَذَابِ بَيْنَ } لأنه على ذلك التفسير يكون في كلتا الآيتين دعاء بالشر على الضال من الطائفتين . وكذلك قوله تعالى في اليهود : { فَتَمَذَّوْا أَلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } في (البقرة والجمعة) عند من يقول : إن المراد بالتمني الدعاء بالموت على الكاذبين من الطائفتين ، وهو اختيار ابن كثير . وظاهر الآية لا يساعد عليه .

الوجه الثاني أن صيغة الطلب في قوله { فَلَا يَمِمْدُ } يراد بها الإخبار عن سنة إِ في الضالين . وعليه فالمعنى : أن إِ أجرى العادة بأنه يمهل الضال ويملي له فيستدرجه

